كلية اللغات والآداب والفنون

الأستـــــاذة : نعيمة بويغرومني

شعبـــــة : الدراسات العربية

الفـــصـل : الثالث

الحصـــــة : النقد القديم

الأســدوس :الخريفي

الموسم الجامعي: 2021/2020

المحاضرة الثالثة (قضايا نقدية)

عناصر المحاضرة

(1)قضية القديم والمحدث

(2) قضية الصنعة والطبع

(3) قضية الصدق والكذب

(4) قضية السرقات الشعرية

4 – قضية السرقات الشعرية

عرفت هذه الظاهرة منذ القديم عند اليونان، عندما أشار أرسطو إلى اخذ بعض الشعراء صورا عن نظرائهم الأقدمين، وقد انتبه شعراؤنا ونقادنا القدامى لهذا التداخل النصي وأخذ اللاحق عن السابق واعترفوا به منذ العصر الجاهلي، فعنترة ابن شداد، قد لاحظ أن هناك شعراء سبقوا إلى نظم المقدمات الطللية، وأن جل شعراء هذه الفترة يسيرون نفس الخطوات في نظم قصائدهم، فتتفاعل وتتداخل نصوصهم فيما بينها:

هل غادر الشّعراء من متردّم = = =أم عرفت الدّار بعد توهّم

وهو ما أكده أيضا امرؤ القيس في بيته الشهير:

عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام

وبين هذا زهير ابن أبي سلمى ، وكأن تلك الأشعار يستثمرها ويتبادلها الشعراء أو يعيدونها عن طريق التكرار.

ما أرانا نقول إلاّ معارا = = = أو معادا من لفظنا مكرورا

وقد ورد عن أبي هلال العسكري في الصناعتين قول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "لولا أن الكلام يعاد لنفذ"

ومما يوضح وعي الشعراء الجاهليين بالسرقات الشعرية ، نرى ان منهم من نفاها نفيها عن اشعارهم ، كقول طرفة بن العبد:

ولا اغير على الأشعار أسرقها عنها غنيت وشر الناس من سرقا

وكذلك فعل حسان بن ثابت :

لا اسرق الشعراء ما نطقوا بل يوافق شعرهم شعري

وقضية السرقات الأدبية أحاطت بها حمولة سلبية مثل قضية الصدق والكذب ،وكأن الشاعر الذي يرتكب فعلا شنيعا هو ا لسطو واللصوصية ، لكن الحقيقة أن هذا المصطلح يقصد به مدى استفادة النص

الحاضر من نصوص سابقة أو معاصرة له ، وهو أمر طبيعي ،إذ لا يوجد نص فريد ليست له علاقة بما يحيط به، فالأمر إذن مرتبط بتحديد مفهوم النص ،فأصل الإشكالية – حسب البعض من الدارسين- هي محنة الشعراء المتأخرين الذين سبقهم المتقدمون في المعاني والقوالب ، ومهما اجتهدوا في تحصيل المعاني المبتكرة فإنهم سيجدون في كلام من سبقهم ما يشبهه، لذلك فإن مسألة السرقة من هذا المنظور ستدخل الإبداع في نفق مسدود ،وعليه كان لابد من إفساح المجال امامهم .

، يقول أبو هلال العسكري : " ليس لاحد من أصناف القائلين غنى عن تناول معاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم أن يكسوها الفاظا من عندهم ، ويبرزوها في معارض من تأليفهم"،

وهذا ما أكده أيضا ابن طباطبا العلوي حين قال بان المبدع كالصائغ الذي يذيب الذهب والفضة ويعيد صياغتهما بأحسن مما كانا عليه.

وإذا كانت قضية السرقات خارجة عن مقاييس الحكم لدى الشريحة الاولى من النقاد حيث كانوا يكتفون بإشارات سريعة عند سماعهم للبيت الشعري ، فان هذا الموضوع سرعان ما اخذ يستأثر باهتمام من أتوا بعدهم من النقاد ، فغدا مجالا واسعا لإظهار كثرة محفوظهم وسعة روايتهم ، ومن امثلة ذلك الصراع النقدي حول شعر ابي تمام ، فقد ادعى مناصروه انه جاء بمعاني مبتدعة، مما جعل معارضوه يجدون باب السرقات الباب الأوسع ليخرجوا من شعره ما استعاره من معاني الناس ، وكذلك الامر مع المتنبي فقد اتهم بالسرقة الأدبية ، وهو حكم لم يكن موضوعيا بقدر ما كان عدائيا لشخصيته المتعالية ،وفي هذا الصدد الف محمد العميدي كتابه "الإبانة عن سرقات المتنبي " وفيه تعمد الكشف عن كل ما يساعد على تلفيق تهمة السرقة ضده، وقد رد عليه الشيخ يوسف المشهور بالبديعي في كتابه "الصبح المبني على حيثية المتنبي".

كما ظهرت كتب أخرى نحت نفس المنحى، فاتخذت من السرقات موضوعا تعالجه وترد على المحتكمين بغير علم ويبرز ذلك مثلا عند الآمدي في رده على ابي ضياء بشر بن تميم بعد كتاب في سرقات البحتري من ابي تمام

إن مهمة الرد على المحتكمين بغير علم من خلال الدراسات والمؤلفات التي وصلتنا ، تصدر لها الآمدي والجرجاني وابن رشيق وغيرهم من النقاد ،لئلا تصبح السرقات في ايدي مجموعة تلوح بها من غير ضوابط منطقية .

فالآمدي في "الموازنة بين المتنبي وخصومه " يرى أن السرقة لا توجد في المعاني المشتركة، وإنما في المعاني المخترعة الخاصة. أما الاشتراك في المعاني بين شاعرين متقاربين فأمر طبيعي "وغير منكر لشاعرين متناسبين من أهل بلد متقاربين أن يتفقا في كثير من المعاني، لا سيما ما تقدم الناس فيه، وتردد في الأشعار ذكره وجرى

في الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله" تحقيق احمد صقر-ص 128، كتمثيلهم الشجاعة بالأسد فهذا أمر متداول عنده.

أما الجرجاني فيقر في هذا الإطار بصعوبة الحكم بالسرقات، ويذكر أنه باب لا ينهض به إلا الناقد البصير والعالم المبرز، وليس كل من تعرض له أدركه، فهو ينفي السرقة عن التشبيهات في الأمور التي يشترك فيها الناطق والأبكم، والفصيح والأعجم، والشاعر والمنجم، كتشبيه الحسن بالشمس والبدر، والبليد البطيء بالحجر والحمار.

ولا يعد الجرجاني من السرقة الصحيحة إلا ما جمع اتفاق الألفاظ، وتساوي المعاني، وتماثل الأوزان،

- أما ابن رشيق فقد قال بأن هذا الباب متسع جدا ولا يستطيع أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه،

مما تقدم ، يتضح أن هؤلاء النقاد قد حاولوا تقنين هذه القضية ، فذهب بعضهم إلى الحديث عن السرقات الجيدة والسرقات المذمومة والسرقات المحمودة والسرقات الحسنة وغيرها ، و في هذا السياق كان تصور حازم القرطاجني ناضجا عندما أعطى الفضل لمن اخترع المعنى ولمن قام بتحسينه بعد ذلك، فقد قسم المعاني إلى أربعة هي:

الاختراع وهو الغاية في الاستحسان

الاستحقاق يأتي بعد الاختراع

الشراكة ومنها ما يساوي الآخر فيه الأول وهذا لا عيب فيه ولكن منها ما ينحط عنه وهذا معيب.

السرقة وهي كلها معيبة وقبيحة.

إذن، من خلال كل ما تقدم عن المعاني العامة المشتركة نصل إلى:

. أن النقد العربي القديم لم يرجعها إلى السرقات وإنما اعتبر العودة لها وتكرارها أمرا عاديا طبيعيا.

-على الرغم مما قيل في موضوع السرقات ، وأن الشعراء كانوا يكررون معاني القدماء ولا يهتدون إلى جديد وان الإبداع قد نضب معينه مع الأوائل ، فالإبداع مستمر طالما الحياة في تجدد مستمر وإن تماثلت التجارب وتكررت . وإلى ذلك ذهب ابن الأثير، في المثل السائر بقوله: "والصحيح أن باب الابتداع للمعاني مفتوح إلى يوم القيامة ومن الذي يحجر على الخواطر وهي قاذفة بما لا نهاية له؟"

جاء في الأغاني أن حسان بن ثابت قال: " قدم النابغة المدينة، فدخل السوق، فنزل عن راحلته ، ثم جثا على ركبتيه ،ثم اعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول:

عرفت منازلا بعريتنات فأعلى الجزع للحي المبين

فقلت: هلك الشيخ ، ورأيته تبع قافية منكرة ، ويقال : إنه قالها في موضعه ، فمازال ينشد حتى أتى على آخرها ، ثم قال : ألا رجل ينشد ؟فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وانشد :

أتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمرة وحشا غير موقف راكب ؟

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

حتى فرغ منها، فقال: أنت أشعر الناس يا ابن أخي، قال حسان : فدخلني منه، وإني في ذلك لأجد القوة في نفسي عليهما ، ثم تقدمت فجلست بين يديه: فقال: أنشد ، فو الله إنك لشاعر قبل أن تتكلم ، قال: وكان يعرفني قبل ذلك، فأنشدته فقال: أنت اشعر الناس ، قال حسين بن موسى ، وقالت الأوس : لم يزد قيس بن الخطيم النابغة على " أتعرف رسما كاطراد المذاهب ، نصف البيت ، حتى قال له – النابغة-:"أنت أشعر الناس" الأغاني ج 2 ص 308.

هذا الخبر يتضمن عدة ملاحظات نقدية، ويظهر عدة حقائق، فأما الملاحظات فنوردها كالآتي:

- الأحكام النقدية في الخبر، صادرة عن كل من النابغة الذبياني الناقد الخبير الذي كانت تضرب له قبة في سوق عكاظ، فيأتيه الشعراء ليحكم على قريضهم ، فيجيز بعضهم ، ويرفض بعضهم ، وعن حسان بن ثابت الشاعر الذي لبس جبة الناقد كونه خبير بقول الشعر وليس شاعرا مبتدئا ومغمورا. وعليه فنقدهما معا يدخل في خانة النقد الخاص (نقد فئة خاصة من المجتمع وليس نقدا صادرا عن عامة الناس كما بينا في محور مستويات النقد)

-تعليق حسان على مطلع قصيد النابغة :

عرفت منازلا بعريتنات فأعلى الجزع للحي المبين

نقد جزئي ، فقد اقتصر حسان في تعليقه على القافية الصعبة والمنكرة التي ركبها النابغة ولم يلتفت لعناصر أخرى من القصيدة، فقال كلمته " هلك الشيخ ، ورأيته تبع قافية منكرة" فحسان وهو الخبير بمضايق الشعر، يرى أن صعوبة القافية أمر يحسب على صاحبها في ميزان النقد ، وكأننا به يشفق على النابغة كونه امتطى قافية غير مألوفة .

- نقد النابغة الذبياني لشعر قيس بن الخطيم ووصفه إياه " انت اشعر الناس يا ابن اخي "حتى قبل ان يتم البيت الأول من قصيدته ، نقد جمالي فني ، ذلك ان النابغة اكتفى بما لمسه من الجاذبية والسحر الادبي الحاضران بقوة في بيت قيس بن الخطيم ، كما أنه حكم عام غير مشفوع بأدلة ولا علل قد يتبينها القارئ او السامع .

- حكم النابغة لحسان بالشاعرية لا قبل ان ينشده شعره " انك لشاعر قبل ان تتكلم " و لا بعد ان انشـــده " انت اشعر الناس" هو حكم عام أيضا افتقر للسبب و العلة، فهو حكم ذوقي ذاتي تأثري نابع من معرفة النابغة بدلالات الالفاظ وما توحي به أبنية الكلمات من معان وايحاءات بالإضافة إلى التقاليد المتواترة .

أما الحـــقائق ، فمن هذا الخبر ندرك بداية أن نشاط النابغة النقدي لم يكن قصرا على ســـوق عكاظ فقط ، بل امتد ليطال أسواقا أخرى كسوق المدينة، فقد كانت يثرب موقع تقدير وتقييم للشعر كذلك ، فإذا كانت سوق عكاظ موضع تحكيم على النحو الذي رأيناه ، فقد كانت يثرب ذات أهمية في هذا الباب أيضا، يرحل إليها النابغة ويستمع إلى بعض الشعراء المجتمعين فيها ، فيصدر حكمه على أشعارهم فيجيز بعضها ويرفض بعضها.

-كما ندرك أن النابغة كان كبقية الشعراء المعاصرين له ينتقي من الشعر جيده، ويحرص على إنشاده في الأسواق، وفي هذا ضمان لشيوع شعره.

- ومن خلاله يتبين أن النابغة - وبحكم خبرته بصناعة الشعر ونقده - كان يعرف قيمة القافية النادرة في دلالتها على خبرة الشاعر الفنية وعلو كعبه في الإحاطة بمفردات اللغة (سعة إحاطته بمفردات اللغة)، وفي هذا السياق تدخل قصيدته التي أنشدها في سوق المدينة، والتي ما إن سمع حسان بن ثابت الشاعر مطلعها حتى صاح : "هلك الشيخ .....وتبع قافية منكرة "

-يحدثنا الخبر، أن النابغة ما إن سمع نصف بيت الشاعر ابن الخطيم (أتعرف رسما كاطراد المذاهب) حتى قال له: "أنت أشعر الناس "فماذا في هذا الشطر؟

إن فيه تشبيها، فقد شبه ابن الخطيم الرسم (أو ما بقي لاصقا بالأرض من آثار المنازل التي عفت) بالمذاهب المطردة ،" أي بالجلود المذهبة بخطوط يرى بعضها في إثر بعض مطردة متتابعة ، وهذا تشبيه حسن يدل على سعة خيال الشاعر وقوة ملاحظته لوجه الشبه بين الرسم واطراد المذهب" تاريخ النقد الأدبي عند العرب -عبد العزيز عتيق-ص33

وهذا التشبيه الجميل وهو في مجمله حكم على تشبيهات مادية تماثل تلك التي يعرفها العربي ويألفها في بيئته، كان كافيا بالنسبة للنابغة المتمرس بنظم ونقد الشعر ، كي يتبين مقدرة صاحبه في قريض الشعر.

-هذا الخبر ، يطلعنا أيضا على تقليد من تقاليد الإنشاد في العصر الجاهلي ، فمن الشعراء من كان ينشد شعره وهو جالس بين يدي الحكم ، ومنهم من كان ينشد جاثيا على ركبتيه و متكئا على عصاه ، وهو ما قام به النابغة عندما أنشد إحدى قصائده في سوق المدينة .